﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾ [الحجّ: 14]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ذكـــرُ حـــالِ المؤمنينَ بعدَ ذكرِ حالِ أضدادِهم واقعًا ومصيرًا

لمّا قسَّمَ جلَّ شأنُهُ المُعانِدينَ والمُخالِفينَ إلى المُجادِلينَ ومَنْ لا يَثْبُتُ على الإسلام، وبالغَ في هَدْمِ أساسِ دينِهم، وبيَّنَ أنَّهم خَسِروا الدُّنيا والآخرةَ، وأنَّ معبوديهم غيرُ قادرينَ على دَفْعِ خُسْرانِهم، بل يتضرَّرونَ بسببِ عِبادتِهم؛ عقَّبَهُ بذكرِ أضدادِهم، وهم الَّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالحاتِ[1]، وسياق الآية قائم على الإتيان بالمقابل، لأنّ النّفس لها استعداد للمقارنة، وتحديد ملامح الإختلاف بين أسباب دخول النّار، وأسباب دخول الجنّة، وهو أوضح في البيان، وأجدى في إيقاع الحجّة[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُدْخِلُ﴾: المعنى المحوريُّ للأصل (دخل) وُلوجُ الشَّيءِ أو تغلغلُهُ في أثناءِ شيءٍ[3]، ومِنْ ذلكَ: المدخولُ: المهزولُ؛ لأنَّ لَحْمَهُ كأنَّهُ قد دخلَ، ودخيلُكَ: الَّذي يُداخِلُكَ في أمورِكَ[4]، وهو دخيلٌ في بني فلانٍ، إذا انتسبَ معَهم، وليسَ منهُم[5]، والدُّخولُ: نقيضُ الخروجِ، ويُستعمَلُ ذلكَ في المكانِ والزَّمانِ والأعمالِ، قالَ تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [البقرة: 58]، وقالَ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ﴾ [الإسراء: 80]، وقالَ: ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ﴾ [الحجّ: 59]، وادَّخلَ: اجتهدَ في دخولِهِ، قالَ تعالى: ﴿لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـَٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا﴾ [التّوبة: 57][6].

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 111، والطيّبي، فتوح الغيب: 10/ 453.
(2) الشّعراوي، تفسير الشّعراويّ: 16/ 9733.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دخل)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (دخل).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دخل).
(5) الجوهريّ، الصّحاح: (دخل)، والزّمخشريّ، أساس البلاغة: (دخل).
(6) الرّاغب، المفردات: (دخل)، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (دخل).

2) ﴿يَفْعَلُ﴾: المعنى المحوريّ للأصل (فعل) إحداثُ شيءٍ مِنْ عملٍ وغيرِهِ[1]، والفعلُ: التَّأثيرُ مِنْ جهةِ مُؤثِّرٍ، وهو عامٌّ لِما كانَ بإجادةٍ أو غيرِ إجادةٍ، ولِما كانَ بعِلمٍ أو غيرِ عِلمٍ، وقصدٍ أو غيرِ قصدٍ، ويكونُ مِنَ الإنسانِ والحيوانِ والجماداتِ، قالَ تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: 197]، وقالَ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾ [النّساء: 30][2]، وقولُهُ تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: 104]، أي: قادرينَ، فالفعلُ يُعبَّرُ بهِ عنِ القُدرةِ على الشَّيءِ[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تنعُّمُ المؤمنينَ بالجنّاتِ وكونه تعالى فعّالٌ لما يريد

يُخبِرُ الحقُّ سبحانَهُ عن جزاءِ عِبادِهِ المؤمنينَ الصّالحينَ، فيقولُ: إنَّ اللّهَ يُدخِلُ الَّذينَ صدَّقوا اللّهَ ورُسُلَهُ، وعَمِلوا بما أمرَهم اللّهُ بهِ في الدُّنيا، وانتهَوْا عمّا نهاهُم عنهُ فيها؛ جنّاتٍ تَجْري مِنْ تحتِها الأنهارُ، إنَّ اللّهَ يفعلُ ما يريدُ، فيُعطي ما شاءَ مِنْ كرامتِهِ أهلَ طاعتِهِ، وما شاءَ مِنَ الهَوانِ أهلَ معصيتِهِ[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ فصلِ الآيةِ عمّا قبلَها:

ذكرُ حالِ المؤمنينَ في مقابلةِ الكافرينَ مدخًا لأوصافهم

قولُهُ جلَّ وتباركَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ استئنافٌ جيءَ بهِ لبيانِ كمالِ حُسْنِ حالِ المؤمنينَ العابدينَ لهُ تعالى[5]، ولذلكَ اختيرَ فصلُهُ عمّا قبلَهُ مِنَ الكلامِ المَسوقِ لبيانِ حالِ المشركينَ، فالغرضانِ متباينانِ[6]، وقيلَ: قولُهُ سبحانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فعل).
(2) الرّاغب، المفردات: (فعل).
(3) السّمين، عمدة الحفّاظ: (فعل).
(4) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 579.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 98، والآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 121.
(6) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 27.

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، مقابلُ قولِهِ: ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾، وقولِهِ: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ﴾، فالجملةُ مُعترِضةٌ[1].

سرُّ تصديرِ الآيةِ بالتَّوكيدِ بلفظ ﴿إِنَّ﴾:

الاعتناءُ بمضمونِ الكلامِ يبرز أهميّته للمؤمنين من الأنام

صُدِّرَ قولُهُ جلَّ ذكرُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ بالتَّوكيدِ؛ لإظهارِ الاعتناءِ بمضمونِ الكلامِ المُشتمِلِ على ذكرِ جزاءِ عبادِ اللهِ المؤمنينَ الصّالحينَ، وتحقيقِ حصولِهِ، وبيانِ أنَّ وقوعَهُ أمرٌ لا ريبَ فيهِ، وتوكيدِ البِشارةِ بهِ.

نكتةُ اسميَّةِ الجملةِ في سياقِ الآيةِ:

الدَّلالةُ على الثُّبوتِ والدَّوامِ متناسب مع خلود الجنّات ودوام جزائها

أوثرَ التَّعبيرُ بالجملةِ الاسميَّةِ، في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ لأنَّ الجملةَ الاسميَّةَ، تفيدُ الثُّبوتَ والدَّوامَ، وذلكَ يناسبُ مقامَ الوعدِ والتَّرغيبِ، وبيانِ جزاءِ المؤمنينَ العابدينَ للهِ تعالى؛ لِما فيهِ مِنَ الإيماءِ إلى أنَّ هذا الوعدَ ثابتٌ دائمٌ، لا يُخلِفُهُ سبحانَهُ وتعالى؛ فضلًا وتكرُّمًا منهُ على عبادِهِ المؤمنينَ.

سرُّ إيثارِ لفظِ الجلالةِ ﴿ٱللَّهَ﴾:

مناسبةُ لفظِ الجلالةِ لمقامِ جزاءِ العابدينَ لربِّ العالمين

اختيرَ لفظُ الجلالةِ دونَ غيرِهِ مِنَ الأسماءِ الحُسنى، في قولِ الحقِّ تعالى ذكرُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ لأنَّ لفظَ الجلالةِ فيهِ إشارةٌ إلى اتِّصافِهِ سبحانَهُ وتعالى، بجميعِ صفاتِ الكمالِ، وتنزُّهِهِ عن جميعِ شوائبِ النَّقصِ[2]، ومِنْ جملةِ ذلكَ القُدرةُ على إثابةِ الطّائعينَ، وكونُهُ سبحانَهُ المعبودَ المُستحقَّ للعبادةِ، فيناسبُ ذكرُهُ مقامَ بيانِ جزاءِ العابدينَ الموحِّدينَ، كأنَّهُ قيلَ: إنَّ المعبودَ المُستحقَّ للعبادةِ، يُثيبُ العابدينَ لهُ الطّائعينَ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 217.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 20.

عِلَّةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ ﴿يُدۡخِلُ﴾:

الـدَّلالـةُ على وقـوعِ الـفعلِ في المستقبلِ معبّرة عن خلود النّعيم

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ، في قولِ الحقِّ جلَّتْ حكمتُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ﴾؛ لأنَّ المضارعَ كما يدلُّ على الحالِ، يدلُّ على الاستقبالِ، وهو هنا للاستقبالِ؛ لأنَّ إدخالَ المؤمنينَ جنّاتِ النَّعيمِ، أمرٌ مستقبليٌّ يكونُ يومَ القيامةِ.

دلالةُ الاسمِ الموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في السّياق:

بيـانُ عـلَّـةِ استحقاقِ أهلِ الإيمانِ لدخولِ جنّةِ الرّضوانِ

عُبِّرَ بالاسمِ الموصولِ في قولِ اللهِ تعالى شأنُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ﴾؛ لإفادةِ عُمومِ الجزاءِ لكلِّ مَنْ جمعَ بينَ الإيمانِ والعملِ الصّالحِ؛ لأنَّ الموصولَ مِنْ ألفاظِ العُمومِ، وللإشارةِ بما في حيِّزِ الصِّلةِ إلى علَّةِ استحقاقِهم للجنّاتِ، وهي الإيمانُ والعملُ الصّالحُ، كأنَّهُ قيلَ: يُدخَلونَ جنّاتٍ تجري مِنْ تحتِها الأنهارُ؛ لأنَّهم آمَنوا وعَمِلوا الصّالحاتِ.

سرُّ التَّعبيرِ بفعلي الماضي ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ﴾:

بيـانُ تحقُّقِ الإيمانِ وعملِ الصّالحاتِ مِنَ المؤمنينَ الأبرارِ

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي، في قولِهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ﴾؛ للإشارةِ إلى أنَّ الإيمانَ وعملَ الصّالحاتِ أمرانِ ثَبَتا وتحقَّقا مِنَ المؤمنينَ الفائزينَ بالجنّاتِ، وأنَّ جزاءَهم قد ترتَّبَ على ما أسلَفوا مِنْ خيرٍ، فهم قد نالوا جزاءهم الأثير، بما عملوا من مبرّة وخير، "وإنّ الله تعالى يسكنهم جنّات فيها نعيم دائم مقيم، يلتقي فيها نعيم الجسم بسرور النّفس، فالإقامة دائمة في ريحان الجنّة، والأنهار تجري من تحت الأشجار، فيكون متعة النّظر، وراحة البصر"[1].

عِلَّةُ عطفِ عملِ الصّالحاتِ على الإيمانِ:

أتبعَ ﷻ الإيمانَ بالعملِ الصّالحِ، في قولِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 13/ 20.

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ﴾؛ لأنَّ عملَ الصّالحاتِ تصديقٌ للإيمانِ[1]؛ فإنَّ مطلوبَ الإيمانِ، أنْ تستمعَ لأوامرِهِ؛ لأنَّهُ حكيمٌ، وتثقَ في قُدرتِهِ؛ لأنَّهُ قادرٌ، وتخافَ مِنْ بَطْشِهِ؛ لأنَّهُ جبّارٌ، ولا تيأسَ مِنْ بَسْطِهِ؛ لأنَّهُ باسطٌ، ولا تأمنَ قَبْضَهُ؛ لأنَّهُ قابضٌ[2].

انطلاقُ العملِ الصّالحِ مِنَ الإيمانِ يبرز ما لـه مـن قيمة وشان

سرُّ تعريفِ لفظِ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وجمعِهِ:

في إيرادِ لفظِ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في قولِهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ﴾ مجموعًا مُعرَّفًا بلامِ الجنسِ إشارةٌ إلى أنَّ المُؤمنينَ الفائزينَ بالجنّاتِ الَّتي تجري مِنْ تحتِها الأنهارُ قد كَثُرَتْ خُطاهم في طُرُقِ الخيراتِ، وطَرَقوا مُختلِفَ أبوابِ الأعمالِ الصّالحاتِ، ولم يَقتصِروا على عملٍ واحدٍ، فالصّالحاتُ أنواعٌ كثيرةٌ، وهم حَرَصوا على أنْ يكونَ لهُم منها على اختلافِها وتنوُّعِها أوفَى نصيبٍ.

الإشـــارةُ إلى تعدُّدِ طُرُقِهم في الخيرِ لتسويغ تنوّع الجزاء لهم

بلاغةُ الحذفِ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

حُذِفَ الموصوفُ في قولِهِ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ﴾، ولم يُقَلْ: (آمَنوا وعَمِلوا الأعمالَ الصّالحاتِ) إيجازًا، ولأنَّ الصّالحاتِ جمعُ صالحةٍ؛ وهي الفَعْلَةُ الحَسَنةُ، وهي في الأصلِ صفةٌ جرَتْ مَجْرى الأسماءِ؛ لأنَّهم يقولونَ: (صالحةٌ) و(حَسَنةٌ)، ولا يُقدِّرونَ موصوفًا محذوفًا[3].

الإيجـازُ بحذفِ المـــوصـــوفِ مـــن بـلاغـة الاستعمال في المألوف

نكتةُ جمعِ لفظِ ﴿جَنَّٰتٍ﴾ في السّياق:

يدلُّ جمعُ لفظِ ﴿جَنَّٰتٍ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ﴾ على تعدُّدِ الجِنانِ وتنوُّعِها، وأنَّها ليستْ جنَّةً واحدةً، بل هي جِنانٌ كثيرةٌ،

الإشـــارةُ إلى تـعـدُّدِ الجنّاتِ وتـنـوُّعِـهـا دليل عـــلى تـنـــوّع الإنعام وتلوّنه

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 20.
(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 16/ 9734.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 352.

فكما تنوعت الأعمال الصالحة؛ كذلك تنوعت الجنات؛ مقابلةً للإحسان بالإحسان.

فأخبر تعالى أنّه سوف يدخلهم جنّات تجري من تحتها الأنهار، مؤكّدا روعتها وجمالها، وتنوّع نعيمها وخلوده، بدون زوال ولا تنغيص بالعوارض، وسمّيت الجنّة جنّة، لكونها مشتملة على المنازل والقصور، والأشجار والنّوابت الّتي تجنّ من فيها، ويستتر بها من كثرتها الكاثرة، وظلالها النّاضرة[1].

سرُّ تنكيرِ لفظِ ﴿جَنَّٰتٍ﴾ في سياق الآيات:

تعظيمُ شأنِ الجنّاتِ دالّ على عظمِ الإنعامِ بها

يدلُّ تنكيرُ لفظِ ﴿جَنَّٰتٍ﴾ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ﴾، على تعظيمِ شأنِ الجنّاتِ وتفخيمِه، فهي جنّاتٌ مُختلفةٌ عن كلِّ الجنّاتِ الّتي ألِفَها الإنسانُ في الدُّنيا، فنعيمُ الدُّنيا مهما عَظُمَ لا يُقاسُ بشيءٍ مِنْ نعيمِ الآخرةِ.

علّةُ وصفِ الجنّاتِ بجَرَيانِ الأنهارِ مِنْ تحتِها:

الماءُ أصلُ كثيرٍ مِنْ ألوانِ النّعيمِ وجريانه الدّائم رمز للحياة الدّائمة

وُصِفَتِ الجنّاتُ بجَرَيانِ الأنهارِ مِنْ تحتِها في قولِ الحقِّ جلَّ شأنُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ﴾؛ لأنَّ الجنّاتِ هي الحدائقُ والبساتينُ المليئةُ بأنواعِ المُتَعِ؛ مِنَ الزَّرْعِ، والخُضْرةِ، والنَّضارةِ، والزُّهورِ، والرّائحةِ الطيِّبةِ، وهذهِ كلُّها بنتُ الماءِ[2]، ولأنَّ جَرَيانَ الأنهارِ مِنْ تحتِها فيهِ مُتعةُ النَّظرِ، وراحةُ البصرِ[3].

دلالةُ صيغةِ المضارعِ ﴿تَجۡرِي﴾:

استمرارُ جَرَيانِ الأنهارِ مِنْ تحتِ الجنّاتِ منبئ بالخلود والدّوام

يدلُّ التَّعبيرُ بصيغةِ المضارعِ في قولِ الحقِّ جلَّ ذكرُهُ: ﴿تَجۡرِي مِن

(1) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان، ص: 535 (بتصرّف).
(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 16/ 9735.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4955.

﴿تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ على استمرارِ جَرَيانِ الأنهارِ مِنْ تحتِ الجنّاتِ، إذ لا انقطاعَ لنعيمِ الجنّاتِ، فتكونُ أنواعُ النعيمِ - ومنها جَرَيانُ الأنهارِ - دائمةً خالدةً.

سرُّ تقديمِ ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾ على ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾:

تعجيلُ المَسَرَّةِ بإظهارِ ما ينتظرُ أهلُ الجنّةِ من المبرّةِ

قُدِّمَ ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾ على ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾؛ لتعجيلِ المَسَرَّةِ بحصولِ الجَرَيانِ مِنْ تحتِ الجنّاتِ؛ لأنَّهُ لونٌ مِنْ ألوانِ النَّعيمِ، يُدخِلُ البَهْجةَ والسُّرورَ في نُفوسِ المؤمنينَ المُنعَّمينَ.

توجيهُ قولِهِ تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾:

احتمالُ الكلامِ لتقديرِ محذوفٍ وعدمِهِ

إنْ أُريدَ بجريانِ الأنهارِ من تحتِ الجنّاتِ، في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾، الأشجارُ المتكاثفةُ السّاترةُ لِما تحتَها، فجَرَيانُ الأنهارِ مِنْ تحتِها ظاهرٌ، وإنْ أُريدَ بها الأرضُ، فلا بدَّ مِنْ تقديرِ مضافٍ، أي: تجري مِنْ تحتِ أشجارِها، وإنْ جُعِلَتْ عبارةً عن مجموعِ الأرضِ والأشجارِ، فالتَّحتيَّةُ بالنَّظرِ إلى الجزءِ الظّاهرِ المُصحِّحِ، لإطلاقِ اسمِ الجنَّةِ على الكلِّ[1].

سرُّ الاقتصارِ على ثوابِ الآخرةِ دونَ الدُّنيا:

الدُّنيا إلى زوالٍ والآخـــرةُ خيرٌ وأبقى

اقتُصِرَ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ على ذكرِ ما للمؤمنينَ مِنْ ثوابِ الآخرةِ دونَ التَّعرُّضِ لذكرِ حالِهم في الدُّنيا؛ لعدمِ أهمّيةِ ذلكَ لَدَيْهِم، ولا في نظرِ الدّينِ[2]، ومهما كان جزاء الدنيا فمصيره إلى الزوال، والجزاء الحقيقي جزاء الآخرة الدائم.

وجهُ ارتباطِ جملةِ فعلِ اللهِ ما يريد بما قبلَها:

بيانُ أنّ الجملةَ تعليلٌ لِما قبلَها وهو من فصيحِ الدّلالةِ

قولُهُ جلَّ وعزَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ تعليلٌ لِما قبلَهُ، وتقريرٌ لهُ بطريقِ التَّحقيقِ، أي: يفعلُ كلَّ ما يريدُهُ مِنَ الأفعالِ المُتقَنةِ اللّائقةِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 98، والآلوسيّ: 9/ 121.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 17/ 217.

الَّتي مِنْ جُملتِها إثابةُ مَنْ آمنَ بهِ وصدَّقَ رُسُلَهُ، وعِقابُ مَنْ أشركَ بهِ وكذَّبَ برُسُلِهِ[1]، لا يُسألُ عمّا يفعلُ، فيُثيبُ مَنْ يشاءُ، ويُعذِّبُ مَنْ يشاءُ[2]، وقيلَ: قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾، تذييلٌ للكلامِ المُتقدِّمِ، مِنْ قولِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ إلى هنا، وهو اعتراضٌ بينَ الجملِ المُلتئِمِ منها الغرضُ، وفيها معنى التَّعليلِ الإجماليِّ لاختلافِ أحوالِ النّاسِ في الدُّنيا والآخرةِ[3].

سرُّ إعادةِ ﴿إِنَّ﴾ ولفظِ الجلالةِ في ثنايا الآية:

أُعيدَتْ ﴿إِنَّ﴾ ولفظُ الجلالةِ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾، ولم يُقَلْ: (ويفعلُ ما يريدُ) كما هو الظّاهرُ؛ اهتمامًا بشأنِ مضمونِ الكلامِ، ومبالغةً في وقوعِهِ[4]؛ لأنَّ (إنَّ) تفيدُ التَّوكيدَ، ولفظَ الجلالةِ يتضمَّنُ الوصفَ بكلِّ كمالٍ[5]، ومِنْ جُملةِ ذلكَ القُدرةُ على إثابةِ المُطيعِ وعِقابِ العاصي.

الجمع في مضمونِ الكلامِ بين التّوكيد وكمال الوصف بلفظ الجلالة

سرُّ التَّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ: ﴿يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾:

التَّعبيرُ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ جلَّ وتباركَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾؛ للدَّلالةِ على التَّجدُّدِ والاستمرارِ، والمعنى أنَّهُ سبحانَهُ فعلَ ما أرادَ، ويفعلُ دائمًا ما يريدُ[6]، لا يُعجِزُهُ شيءٌ، ولا يَحولُ بينَهُ وبينَ مُرادِهِ شيءٌ، وفي ذلكَ مزيدُ تأكيدٍ لقُدرتِهِ سبحانَهُ وتعالى على إثابةِ المؤمنينَ ومعاقبةِ الكافرينَ.

الدَّلالةُ على التَّجدُّدِ والاستمرارِ في أفعال الله وفق إرادته المطلقة

نكتةُ التَّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ ﴿مَا﴾:

عُبِّرَ بالاسمِ الموصولِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾؛ للدَّلالةِ على عُمومِ قُدرتِهِ تعالى لكلِّ ما يريدُ مِنْ نَفْعٍ وضَرٍّ ونحوِ

الدَّلالةُ على العُمومِ تعميم للحكم في الموصول وصلته

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 99، والآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 121.
(2) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 522.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 217.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 27.
(5) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4955.
(6) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4955.

ذلكَ[1]، وفعلُ اللّهِ ما يريدُ، هو إيجادُ أسبابِ أفعالِ العِبادِ، في سُنَّةِ نِظامِ هذا العالَمِ، وتبيينُهُ الخيرَ والشَّرَّ، وترتيبُهُ الثَّوابَ والعِقابَ، وذلكَ لا يُحيطُ بتفاصيلِهِ إلّا اللّهُ تعالى[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الدُّخولُ والوُلوجُ:

الدُّخولُ: نَقيضُ الخُروجِ، ويُستعمَلُ في المكانِ، والزَّمانِ، والأعمالِ[3]، والوُلوجُ: الدُّخولُ في مَضيقٍ[4]، وبناءً على ذلكَ يكونُ الوُلوجُ أخصَّ مِنَ الدُّخولِ؛ إذ لا يُشترطُ في الدُّخولِ أنْ يكونَ في مَضيقٍ.

الوُلوجُ أخصُّ مِنَ الدُّخولِ؛ لأنَّهُ يكونُ في مَضيقٍ عادة

العملُ والفعلُ والصُّنعُ:

قيلَ في الفَرْقِ بينَ العملِ والفعلِ: إن العملَ: المُثابَرةُ على الشَّيءِ، لا الإتيانُ بهِ مرَّةً أو بسرعةٍ، قالَ تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ﴾ [سبأ: 13]، والفعلَ: الإتيانُ بالشَّيءِ بسرعةٍ مِنْ غيرِ تَوانٍ، قالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾ [المؤمنون: 4][5].

الفعلُ أعمُّ مِنَ العملِ والصُّنْعُ أخصُّ منهُما

وقيلَ: الأصلُ في العملِ أنْ يكونَ بقصدٍ، والفعلُ عامٌّ، يَصدُرُ بقصدٍ أو بغيرِ قصدٍ، ويَصدُرُ عنِ العاقلِ وغيرِ العاقلِ، وقلَّما يُنسَبُ العملُ إلى حيوانٍ، وبناءً على ذلكَ يكونُ الفعلُ أعمَّ، والعملُ أخصَّ[6]، وأمّا الصُّنْعُ فهو إجادةُ الفعلِ، ولا يُنسَبُ إلى الحيواناتِ والجماداتِ، وهو أخصُّ مِنَ الفعلِ والعملِ[7].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 21.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 217.
(3) الرّاغب، المفردات: (دخل).
(4) الرّاغب، المفردات: (ولج).
(5) النزهي، الفروق اللغوية، ص: 55.
(6) الرّاغب، المفردات: (عمل) (فعل)، وفاضل السّامرائيّ، لمسات بيانيّة: 10/ 252.
(7) الرّاغب، المفردات: (صنع).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والثلاثون،
سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 34 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-76-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 34 : المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-76-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3990244 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»